قال رحمه الله تعالى :

[فصلٌ (تحويل القبلة وفرض الصوم) : في شعبان من هذه السنة حُوِّلت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة ، وذلك على رأس ستة عشر شهراً من مقدمه المدينة ، وقيل سبعة عشر شهراً ، وهما في الصحيحين . وكان أول من صلى إليها أبو سعيد بن المعلى وصاحبٌ له كما رواه النسائي ؛ وذلك أنهما سمعا رسول الله ﷺ يخطب الناس ويتلو عليهم تحويل القبلة ، فقلت لصاحبي : تعال نصلي ركعتين فنكون أول من صلى إليها، فتوارينا وصلينا إليها ، ثم نزل رسول الله ﷺ فصلى بالناس الظهر يومئذ . وفرض صوم رمضان ، وفرضت لأجله زكاة الفطر قبله بيوم] .

****

ثم عقد الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى فصلاً تحدث فيه عن أمورٍ ثلاثة : تحويل القبلة ، وفرض الصوم ، وفرض زكاة الفطر ؛ وهذه الثلاث كلها حصلت في السنة الثانية من هجرة النبي ﷺ إلى المدينة .

قال رحمه الله : ((**فصلٌ : في شعبان من هذه السنة حُولت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة ، على رأس ستة عشر شهراً من مقدمه ﷺ المدينة ، وقيل سبعة عشر شهراً ، وهما في الصحيح**)) ؛ أي من حديث البراء ابن عازب رضي الله عنه قال : ((صَلَّيْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا ثُمَّ صُرِفْنَا نَحْوَ الْكَعْبَةِ)) ، فالنبي عليه الصلاة والسلام من حين فُرضت عليه الصلاة كان يستقبل بيت المقدس كما أُمر ، ولما كان في مكة قيل أنه عليه الصلاة والسلام يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس فيكون مستقبلاً بيت المقدس والكعبة أمامه ، ثم لما هاجر عليه الصلاة والسلام إلى المدينة مضى على ذلك ستة أشهر أو سبعة أشهر ، يعني من حين هجرته إلى المدينة مضى يصلي مستقبلاً بيت المقدس سنة وأربعة أشهر أو سنة وخمسة أشهر ، وكان هذا يعجب اليهود ، ولكنه عليه الصلاة والسلام كان يقلِّب بصره في السماء متطلعاً وطامعاً وراجياً من الله سبحانه وتعالى في أن تتحول القبلة إلى الكعبة ، حتى نزل عليه قول الله عز وجل : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ [البقرة:١٤٤] ، وتحوَّل النبي عليه الصلاة والسلام من الصلاة إلى بيت المقدس وهو عن المدينة جهة الشمال إلى الصلاة إلى الكعبة وهي عن المدينة جهة الجنوب ؛ أي جهة مغايرة تماماً للجهة التي كان يستقبلها .

وأول صلاة صلَّاها في مسجده ﷺ إلى الكعبة هي صلاة العصر ، وفي مسجد قباء لم يبلغهم هذا الأمر إلا من الغد في صلاة الفجر ، فمضوا صلاة المغرب وصلاة العشاء على القبلة الأولى ، ثم بلغهم في صلاة الفجر فصلّوا الفجر إلى جهة الكعبة ، وجميع المساجد التي في المدينة في ذلك الوقت كانت الصلاة فيها إلى بيت المقدس ثم حصل التحول فيها إلى الكعبة ، وبعضهم بلغهم ذلك وهم يصلُّون إلى جهة بيت المقدس وفي أثناء الصلاة أتاهم الآتي وقال : " أشهد بالله أن النبي ﷺ نزل عليه تحوُّل القبلة وتحوَّل إلى الكعبة " فاستداروا وهم يصلُّون ، وتحوُّلهم: أن الإمام ينتقل من الجهة الشمالية في المسجد إلى الجهة الجنوبية متقدماً عليهم مؤتماً به وهم يستديرون ، وهذا يتطلب حركة في الصلاة ، لأنه متقدماً عليهم من جهة الشمال إماماً بهم ، فينقل إلى الجهة الجنوبية . وإذا كان في المسجد نساء – والنساء لهن آخر

الصفوف – أيضاً تكون الحركة أشد ، بحيث يتقدم الرجال ويتأخر النساء ، وهذه حركة كلها لمصلحة الصلاة .

وهنا ينبغي أن يلاحظ أن تخصيص مسجد معيَّن في المدينة يُخصُّ بفضيلة تحول القبلة فيه من بيت المقدس إلى الكعبة هذا مما لا أصل له ؛ لأن جميع المساجد الموجودة في المدينة في ذلك الوقت – مسجد النبي عليه الصلاة والسلام، ومسجد قباء ، والمساجد الأخرى التي في المدينة – كلها حصل فيها هذا التحول ، ولو كان هناك مسجد يختص بفضيلة لكان مسجد النبي ﷺ أولى بها ، لأنه حصل فيه هذا التحول .

وبهذا التحول وبهذه الآية التي نزلت على النبي عليه الصلاة والسلام أصبحت القبلة الأولى قبلة منسوخة ولا يحِل الصلاة إليها إطلاقاً ، وهذا يبين لنا الخطأ الفادح الذي يرتكبه أحياناً بعض الجهال عندما يذهب إلى ما يسمى بمسجد القبلتين فيصلي إلى القبلة الأولى ثم يتحول ويصلي إلى القبلة الثانية ، وإن كان نادراً وقليلاً جداً إلا أن هذا يدل على الجهل بدين الله ﷻ ، فالقبلة التي إلى بيت المقدس منسوخة لا تستقبل لا بصلاة ولا بدعاء ولا بأي عبادة ، وأصبحت القبلة من حين التحول هي الكعبة ، والتوجه في الصلاة والعبادة إنما يكون إليها فقط .

ثم ينبغي أن يُعلم أن هذه القبلة التي هدى الله ﷻ إليها أمة الإسلام نعمة عظيمة يحسدنا عليها اليهود كما أخبرنا نبينا عليه الصلاة والسلام بذلك ، وجاء في المسند وغيره من حديث عائشة رضي الله عنها أنه عليه الصلاة والسلام قال : ((إن اليهود يحسدوننا على ثلاث : يحسدوننا على يوم الجمعة الذي هدانا الله إليه وأضلهم عنه ، ويحسدوننا على استقبال بيته الحرام الذي هدانا إليه وأضلهم عنه ، ويحسدوننا على قول آمين)) وهذه نعَم كبار ينبغي أن نستشعر قيمتها ومكانتها ؛ أن الله هدانا إلى يوم الجمعة وقد أضلَّ عنه من قبلنا ، وهدانا إلى القبلة بيت الله الحرام وأضل عنها اليهود ، وهدانا إلى التأمين .

ثم لله ﷻ حكمة في بقاء القبلة وقتاً إلى جهة بيت المقدس ثم تتحول إلى جهة بيته الحرام، وهذا محك وامتحان ، وتأمل الحكمة في قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ ﴾ [البقرة:١٤٣] ، والمراد بالعلم في قول الله

ﷻ ﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ ﴾ أي : علم هذا الأمر واقعاً ، أما علم الله ﷻ بالأمور فهو علم أزلي ، فهو ﷻ يعلم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون كما يدل لذلك قول الله تعالى : ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴾ ؛ هذا أمر لا يكون ، لا يردون إلى الحياة الدنيا ، لكن علِم الله ﷻ هذا الأمر لو كان كيف يكون .

ولهذا لما حصل التحول من بيت المقدس إلى الكعبة بدأ اللَّغط من السفهاء ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾ الجواب على ذلك : ﴿ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة:١٤٢] أي : الأمر من قبل ومن بعد لله ﷻ يحكم بما يشاء ، الشرع شرعه والحكم حكمه ، وأينما يوجِّه عباده فحقه عليهم أن يطيعوه ، ولو أمرهم ﷻ أن يتجهوا في اليوم الواحد إلى أكثر من جهة للزمهم طاعته ﷻ في ذلك ، فحقيقة البر لزوم طاعة الله حيث يأمر ﷻ عباده ؛ فإن كان أمَرهم أن يستقبلوا بيت المقدس يستقبلون بيت المقدس طاعة لله ، وإذا أمرهم أن يستقبلوا البيت الحرام يستقبلون البيت الحرام طاعة لله ، ولهذا قال ﷻ : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾ [البقرة:١٧٧] .

وعندما حصل هذا التحول للقبلة من بيت المقدس إلى الكعبة حصل لدى عدد من الصحابة تساؤل عن الذين كانوا يصلُّون إلى بيت المقدس ثم ماتوا قبل التحول ؛ ما شأن صلاتهم ؟ فنزل قول الله ﷻ : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ [البقرة:١٤٣] أي صلاتكم . فالصلاة التي كانوا يصلُّونها إلى بيت المقدس إنما كانوا يصلُّونها إلى تلك الجهة طاعة لله ﷻ وامتثالاً لأمره ﷻ ، فهي صلاة مقبولة لأنها قائمة على أساس الطاعة والامتثال لأمر الله ﷻ فلا تضيع عليهم .

قال رحمه الله : ((**في شعبان من هذه السنة** – أي السنة الثانية للهجرة – **حُولت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة**)) ؛ قوله رحمه الله ((**في شعبان**)) ؛ هذا قول لأهل العلم ، وهناك قول آخر عزاه الحافظ ابن حجر للجمهور ، وهو أن تحول القبلة إنما كان في شهر رجب في منتصفه من السنة الثانية للهجرة ، قال رحمه الله في فتح الباري قال : " وَكَانَ التَّحْوِيل فِي

نِصْف شَهْر رَجَب مِنْ السَّنَة الثَّانِيَة عَلَى الصَّحِيح ، وَبِهِ جَزَمَ الْجُمْهُور ، وَرَوَاهُ الْحَاكِم بِسَنَدٍ صَحِيح عَنْ اِبْن عَبَّاس " .

قال : ((**وذلك على رأس ستة عشر شهراً من مقدَمه المدينة**)) ؛ أي مهاجره إليها .

((**وقيل سبعة عشر شهراً ، وهما في الصحيحين**)) أي من حديث البراء ابن عازب ﷺ المتقدم ، قال : ((صَلَّيْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا ثُمَّ صُرِفْنَا نَحْوَ الْكَعْبَةِ)) .

قال : ((**فكان أول من صلى إليها أبو سعيد ابن المعلى** ﷺ **وصاحب له كما رواه النسائي**)) ؛ أي في كتاب التفسير من سننه الكبرى .

قال : ((**وذلك أنهما** – أبو سعيد وصاحبه رضي الله عنهما – **سمعا رسول الله** ﷺ **يخطب الناس ويتلو عليهم تحويل القبلة ، قال فقلت لصاحبي : تعال نصلي ركعتين فنكون أول من صلى إليها**)) ؛ أي يكون لنا السبق في الصلاة إلى الكعبة .

قال : ((**فتوارينا وصلَّينا إليها ، ثم نزل رسول الله** ﷺ **فصلى بالناس الظهر يومئذ**)) .

لكن هذا الحديث إسناده غير ثابت لأن فيه مروان ابن عثمان ابن أبي سعيد ابن المعلى الأنصاري ضعيف .

ثم قال رحمه الله : ((**وفرض صوم رمضان ، وفرضت لأجله زكاة الفطر قبيله بيوم**)) ؛ هنا ذكر رحمه الله تعالى فريضتين كانتا في السنة الثانية من الهجرة ، وهما : فريضة الصيام ، وفريضة الزكاة .

وهنا تأمل في تدرج الفرائض ؛ أول ما بُعث عليه الصلاة والسلام كانت دعوته ﷺ مقتصرة على الدعوة إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له ﷻ والبراءة من الشرك ونبذ الأصنام والأوثان ؛ ((قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُفْلِحُوا))، ((اعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا)) ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [المؤمنون:٣٢] ، ثم الفريضة الثانية التي تلي التوحيد فريضة الصلاة جاءت في السنة العاشرة من المبعث ، فيكون أمضى عشر سنوات كاملات ليس هناك فريضة إلا فريضة التوحيد ، ثم يمضي عليه الصلاة والسلام ثلاث سنوات في مكة وسنتين في المدينة ، ثم تأتي فريضة الصيام وكذلك فريضة الزكاة في السنة الثانية من الهجرة – على خلاف بين أهل العلم – ، ثم إلى السنة التاسعة من الهجرة تأتي فريضة الحج . وهذا إذا علمه المسلم وعرف

هذا التدرج يدرك تماماً مكانة التوحيد العظمى وأنه الأساس الذي يُبنى عليه دين الله ﷻ ، ولما لم يدرك بعض الناس هذه الحقيقة العظيمة الكبرى أصبح يوجد من يحج ويستغيث بغير الله !! حتى في أثناء الحج – حتى في عرفات !! – يرفع يديه ويقول : مدد يا شيخ فلان ، أدركني يا فلان ، إن لم تنقذني من الذي ينقذني ؟ مع أن فريضة التوحيد هي أول ما بدأ به ، وهي الأساس الذي يقوم عليه دين الله ﷻ ، ولا يُقبل من الإنسان أي طاعة لا صلاة ولا صيام ولا حج ولا غيره إذا لم يكن قائماً على هذا الأصل العظيم ؛ توحيد الله ﷻ وإخلاص الدين له ، وقد قال الله في القرآن : ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ (٦٦) وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٥-٦٧] ولهذا إذا نُقض التوحيد بصرف شيء من العبادة لغير الله بطلت الأعمال وحبطت ولم تكن مقبولة عند الله ﷻ .

فرض الله ﷻ على عباده فريضة الصيام في السنة الثانية من الهجرة ، قال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ أي فُرض عليكم ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٨٣]. وصيام شهر رمضان ركن من أركان الإسلام كما قال نبينا عليه الصلاة والسلام : ((بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ ، وَحَجِّ الْبَيْتِ)) .

قال : ((**وفرضت لأجله زكاة الفطر قبله بيوم**)) ؛ الله ﷻ فرض زكاة الفطر صاعاً من طعام طُهرةً للصائم مما قد يكون في صيامه من نقص أو لغو أو نحو ذلك ، وطُعمةً للمساكين في نهاية طاعة الصيام وفي يوم العيد المبارك الذي يأتي على إثر هذه الطاعة العظيمة ، ولهذا تسمى هذه الطاعة زكاة الفطر ، تضاف إلى الفطر من صيام رمضان لأنها فُرضت متعلقة بالفطر من صيام شهر رمضان ، ولهذا من حين بدأت فريضة الصيام في السنة الثانية من الهجرة بدأت معها فريضة زكاة الفطر .

ثم تحدث المصنف رحمه الله تعالى بعد ذلك عن غزوة بدر الكبرى ، وهذه الغزوة أولى الغزوات الكبار ، أمهات الغزوات التي خاضها المسلمون مع النبي الكريم صلوات الله وسلامه وبركاته

عليه ، وبين يدي الكلام عن هذه الغزوة وما يليها من غزوات كبار أنقل كلاماً حول غزوات النبي ﷺ وبعوثه وسراياه ملخصاً ومنتقى من كتاب زاد المعاد لابن القيم رحمه الله تعالى .

قال رحمه الله : " غَزَوَاتُهُ كُلّهَا وَبُعُوثُهُ وَسَرَايَاهُ كَانَتْ بَعْدَ الْهِجْرَةِ فِي مُدّةِ عَشْرِ سِنِينَ ، فَالْغَزَوَاتُ سَبْعٌ وَعِشْرُونَ ، وَقِيلَ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ ، وَقِيلَ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ ؛ قَاتَلَ مِنْهَا – أي شارك بنفسه عليه الصلاة والسلام – فِي تِسْعٍ : بَدْرٍ وَأُحُدٍ وَالْخَنْدَقِ وَقُرَيْظَةَ وَالْمُصْطَلِقِ وَخَيْبَرَ وَالْفَتْحِ وَحُنَيْنٍ وَالطَّائِفِ ، وَقِيلَ قَاتَلَ فِي بَنِي النّضِيرِ وَالْغَابَةِ وَوَادِي الْقُرَى مِنْ أَعْمَالِ خَيْبَرَ . وَأَمّا سَرَايَاهُ وَبُعُوثُهُ فَقَرِيبٌ مِنْ سِتّينَ . وَالْغَزَوَاتُ الْكِبَارُ الْأُمّهَاتُ سَبْعٌ : بَدْرٌ وَأُحُدٌ وَالْخَنْدَقُ وَخَيْبَرُ وَالْفَتْحُ وَحُنَيْنٌ وَتَبُوكُ . وَفِي شَأْنِ هَذِهِ الْغَزَوَاتِ نَزَلَ الْقُرْآنُ؛ فَسُورَةُ (الْأَنْفَالِ) سُورَةُ بَدْرٍ " ؛ وَفِي أُحُدٍ – أي في غزوة أحد – آخِرُ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ مِنْ قَوْلِهِ ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ﴾ [آلُ عِمْرَانَ:١٢١] إلَى قُبَيْلِ آخِرِهَا بِيَسِيرٍ . وَفِي قِصّةِ الْخَنْدَقِ وَقُرَيْظَةَ وَخَيْبَرَ صَدْرُ سُورَةِ الْأَحْزَابِ – أي أوائل سورة الأحزاب – . وَسُورَةِ الْحَشْرِ فِي بَنِي النّضِيرِ . وَفِي قِصّةِ الْحُدَيْبِيَةِ وَخَيْبَرَ سُورَةِ الْفَتْحِ ، وَأُشِيرَ فِيهَا إلَى الْفَتْحِ . وَذُكِرَ الْفَتْحُ صَرِيحًا فِي سُورَةِ النّصْرِ . وَجُرِحَ مِنْهَا صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي غَزْوَةٍ وَاحِدَةٍ وَهِيَ أُحُدٌ ؛ وَقَاتَلَتْ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مِنْهَا فِي بَدْرٍ وَحُنَيْنٍ ؛ وَنَزَلَتْ الْمَلَائِكَةُ يَوْمَ الْخَنْدَقِ فَزَلْزَلَتْ الْمُشْرِكِينَ وَهَزَمَتْهُمْ وَرَمَى فِيهَا الْحَصْبَاءَ فِي وُجُوهِ الْمُشْرِكِينَ فَهَرَبُوا ؛ وَكَانَ الْفَتْحُ فِي غَزْوَتَيْنِ : بَدْرٍ وَحُنَيْنٍ . وَقَاتَلَ بِالْمَنْجَنِيقِ مِنْهَا فِي غَزْوَةٍ وَاحِدَةٍ وَهِيَ الطّائِفُ ، وَتَحَصّنَ فِي الْخَنْدَقِ فِي وَاحِدَةٍ وَهِيَ الْأَحْزَابُ أَشَارَ بِهِ عَلَيْهِ سَلْمَانُ الْفَارِسِيّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ "

وقال أيضاً رحمه الله تعالى يتحدث عن غزو النبي عليه الصلاة والسلام لليهود : " وَكَانَتْ غَزْوَةُ كُلّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ عَقِبَ كُلّ غَزْوَةٍ مِنْ الْغَزَوَاتِ الْكِبَارِ . فَغَزْوَةُ بَنِي قَيْنُقَاعَ عَقِبَ بَدْرٍ ، وَغَزْوَةُ بَنِي النّضِيرِ عَقِبَ غَزْوَةِ أُحُدٍ ، وَغَزْوَةُ بَنِي قُرَيْظَةَ عَقِبَ الْخَنْدَقِ "

وفي موضع آخر يقول رحمه الله : " وَكَانَ لَهُ مَعَ الْيَهُودِ أَرْبَعُ غَزَوَاتٍ أَوّلُهَا : غَزْوَةُ بَنِي قَيْنُقَاعٍ بَعْدَ بَدْرٍ ، وَالثّانِيَةُ بَنِي النّضِيرِ بَعْدَ أُحُدٍ ، وَالثّالِثَةُ قُرَيْظَةُ بَعْدَ الْخَنْدَقِ ، وَالرّابِعَةُ خَيْبَرُ بَعْدَ الْحُدَيْبِيَةِ " .

وهذا يستفاد منه أن اليهود أهل نقض للعهود ، فإذا خاض المسلمون معركة من المعارك الكبار عندما يرون أن أمر المسلمين اشتد وأنهم في مجابهة شديدة مع المشركين يتحيَّنون مثل هذه الفرصة لنقض العهد الذي كان بينهم وبين المسلمين ، ولهذا إذا انتهى عليه الصلاة والسلام من المعركة الكبيرة عاد إلى هؤلاء اليهود – الذين تحيَّنوا مثل هذه الفرصة فنقضوا عهدهم – فيرجع إليهم غازيا ؛ فبعد بدر قاتل عليه الصلاة والسلام بني قينقاع ، وبعد أحد قاتل بني النضير ، وبعد الخندق قاتل بني قريظة ، وبعد الحديبية قاتل اليهود في خيبر ، وكل ذلك راجع إلى تحركات من هؤلاء اليهود في مثل هذه الأوقات نقضاً منهم للعهود وتحيناً منهم لهذه الفرصة .

وعلْم المغازي علمٌ له مكانته ، ولأهل العلم عناية به واهتمام من قديم ، ولهم فيه مؤلفات مفردة ، وعدد من الأئمة الذين أفردوا دواوين في جمع السنة من صحاح وسنن يفرد المغازي والغزوات بكتاب خاص يسمى المغازي أو غزوات النبي صلوات الله وسلامه عليه ، وبعض أهل العلم أفردوا هذا بالتصنيف ، وقيل إن أول من أفرد المغازي بالتصنيف عروة ابن الزبير ابن العوام ؛ من أجِلَّة علماء التابعين رحمه الله تعالى ، وقيل إن أول من أفرده الإمام الزهري رحمه الله تعالى .

قال الزهري رحمه الله : " في علم المغازي علم الآخرة الأولى " مشيراً بذلك إلى مكانة هذا العلم وأثره ، لأن المسلم عندما يقرأ في هذه المغازي يدرك المآثر الكبار والمواقف العظيمة والجهود الضخمة التي بذلها السلف نصرة لدين الله ﷻ وذباً عن حماه ورفعاً لراية التوحيد وليكون الدين كله لله ، فأرخصوا دماءهم في سبيل الله ونصرةً لدينه ﷻ .

وقال إسماعيل ابن محمد ابن سعد ابن أبي وقاص : " كان أبي – أي محمد ابن سعد – يعلِّمنا مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعدُّها علينا وسراياه ويقول : يا بني هذه مآثر آباءكم فلا تضيّعوا ذكرها " .

وجاء عن علي ابن الحسين رحمه الله تعالى أنه قال : " كنا نُعلَّم مغازي النبي صلى الله عليه وسلم كما نُعلّم السورة من القرآن " .

ومثل هذه القراءة للمغازي تورِث الإنسان حباً وإجلالاً واحتراماً ومعرفةً بأقدار هؤلاء ومكانتهم العظيمة والجهود الضخمة التي بذلوها نصرة لدين الله وحماية لحماه ، وهذا أيضا يزيد المسلم حباً لهم ، وإذا زاد الحب زاد الإتباع والإقتداء ، وقد قال القائل :

كرِّر عليَّ حديثهم يا حادي فحديثهم يجلو الفؤاد الصادي

فهي سير عطرة وجهود ضخمة وأعمال مباركة قدَّمها هؤلاء نصرة لدين الله ﷻ .